السياسة المالية وانعكاساتها بالمغرب خلال الفترة الممتدة من حكم المولى إسماعيل إلى عهد سيدي محمد بن عبد الله

د/ الحسين ريوش

وجدة المغرب.

تاريخ الإرسال: 2019-02-17 **تاريخ القبول:** 2019-05-26

ملخص بالعربية

كانت السياسة الجبائية متشددة، أحيانا، على السكان ببوادي ومدن المغرب في بعض فترات الحكم الممتد بين مرحلتي المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ، فعلاوة على الضرائب الشرعية، تعرض السكان للتعسف ولدفع ضرائب غير شرعية أثرت سلبا على مستواهم المعيشي

وعلى استقرارهم وإخلاصهم للنظام الحاكم، مما أدى إلى اندلاع انتفاضات وثورات وتمردات في الكثير من المدن والبوادي المغربية، وكان الوضع أكثر حدة في عهد المولى إسماعيل.

لقد كانت سياسة التدبير المالي في هذه المرحلة سببا في ظهور عدة أزمات وصراعات داخل النظام الحاكم وأدت إلى اضطرابات كادت تنهي الدولة العلوية في هذه المرحلة في انسجام تام مع رأي ابن خلدون الذي أكد أن الضغط الضريبي يؤذن "باختلال العمران، ويعود على الدولة؛ ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضمحل".

إن السياسة المالية في هده المرحلة من تاريخ المغرب كانت أحد عوامل تعطيل التنمية والحفاظ على التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط وبالتالي قطع الطريق مبكرا أمام الحركة الإمبريالية.

الدكتور الحسين ريوش

Abstract:

The tax policy was sometimes harsh on the population of the towns and cities of Morocco in some periods of rule between the two phases of the Mawla Ismail and Sidi Mohamed Ben Abdallah. In addition to the legal taxes, the population was exposed to arbitrariness and to the payment of illegal taxes that adversely affected their standard of living, Which led to the outbreak of uprisings and revolutions and rebellions in many cities and the Moroccan clubs, and the situation was more acute during the era of Moulay Ismail.

The policy of financial management at this stage caused the emergence of several crises and conflicts within the ruling regime and led to unrest that almost ended the Alawite at this stage in full harmony with the theory of Ibn Khaldun, who stressed that the tax pressure is authorized "disruption of

urbanization, and the state; It continues to grow until the "

The financial policy at this stage in the history of Morocco was one of the factors of the disruption of development and maintain balance between the two shores of the Mediterranean and thus cutting the way ahead of the imperialist movement.

تمهيد

حظي بيت المال بعناية كبيرة من قبل السلاطين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين سواء من حيث التنظيم أو اختيار المشرفين على هذه المؤسسة لدورها الهام في ضمان توفير نفقات الدولة وتحقيق التوازن مع مصاريفها المتزايدة، ولإقرار الأمن والاستقرار، وتحرير الثغور المحتلة.

وبما أن ترسيخ دعائم الملك يقتضي التوفر على الأموال لتموين الحملات العسكرية والقضاء على الثوار،

فإن السلاطين العلويين حرصوا منذ البداية على أن تكون خزائنهم مترفة. فالمولى الشريف ألح على أبنائه أن يجمعوا له الأموال الضرورية لدعم دولته الناشئة " فأعطاه محمد[ابنه] قنطارا ونصفا من الذهب"(□). وبعد وفاته، تشدد أبناؤه في سياستهم الجبائية حتى إن المولى الرشيد أثناء هروبه من أخيه المولى محمد، عمد إلى البطش والغدر لابتزاز الأموال من الرعية سواء أكانوا مسلمين أو من أهل الذمة، وبقي " يجول في البلدان طامعا في الملك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل [في جبل بني يزناسن شرق المغرب] فوجد فيها يهوديا من أهل الذمة له أموال طائلة وذخائر نفيسة ... فقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه."(بر)

ومن خلال استقراء كتب الإخباريين والجغرافيين نستخلص أن نظام الجباية كان شديد الوطأة على السكان منذ العصور الوسطى، وساهم في أكثر من مرة في اندلاع الانتفاضات في بوادي المغرب ومدنه[تر]. وسنحاول أن نتعرف في هاته الدراسة على بعض مظاهر السياسة المالية وانعكاساتها طيلة الفترة الممتدة بين حكم السلطانين المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله. فما أهم مميزات هذه السياسة؟ وما انعكاساتها الهامة؟. وسنحاول أن نجيب على هذين السؤالين انطلاقا مما جاء في بعض المصادر والدراسات التي تناولت هذه الفترة.

1. عهد المولى إسماعيل (1082 - 1139هـ /1672- 1727م):

نهج المولى إسماعيل سياسة مالية صارمة، فإلى جانب الضرائب الشرعية فرض ضريبة النايبة، وضريبة

المكس، والرسوم على التجارة الخارجية، وزاد من حدتها تعسف الجباة في جمعها. فالزياني[يز] يخبرنا أن "العمال تجبي الأموال، والرعايا تدفع بلا حساب وصار أهل المغرب كفلاحي أهل مصر يخدمون ويدفعون في كل جمعة ومن نتج فرسا إن أدرك الركوب يدفعه للعامل ويدفع قيمة السرج من عنده عشرة مثاقيل وإذا أنتج أنثى تبقى له ويدفع للعامل مثقالا".

هذه السياسة أضرت كثيرا بالمواطنين الذين كانوا يستعطفون المولى إسماعيل، ويطالبونه بالتخفيف عليهم والحد من تعسفات الجباة، كما يكشف نص اليوسي [سمه]: "فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم، وامتصوا المخ. ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا، أما الدنيا

فقد أخذوها، وأما الدين ففتنوهم عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه...".

وانعكست هذه السياسة الجبائية سلبا حتى على كبار التجار والحرفيين في العديد من المدن مثل أغنياء التجار بتطوان التي أصبح أغنياء تجارها يعتبرون من يصفهم بالغنى شيئا مؤذيا لهم، وتخلى البعض منهم عن التجارة خوفا من الضرائب، معتقدا أنه بهذه الوسيلة سيحتفظ بما لديه، لكن العديد منهم تعرض للإفلاس لتوقفه عن التجارة(شم).

وبهدف توفير حاجيات الجيش، رفع المولى إسماعيل من قيمة الضرائب على السكان، وفرض غرامات على المناطق المتمردة مما زاد من شدة الاضطرابات(لم)، " ... حتى إن أحدا لا يأمن على نفسه وعلى فلسه من كثرة الجور

والظلم ."[□]، بل إن المولى إسماعيل شن حملات انتقامية ضد القبائل المناهضة لسلطته لإضعاف قوتها وإرغامها على دفع الضرائب كما هو الحال بالنسبة لصنهاجة بالأطلس المتوسط وآيت عطا بالأطلس الكبير بحيث لما " دخلت سنة (1094هـ[1683م] فيها خرج السلطان في العساكر إلى جبال فزار [الأطلس المتوسط] لحرب صنهاجة من البربر الذين هنالك... فدخل السلطان بلادهم ... ثم تبع آثارهم إلى أن دخلوا جبل العياشي، وتربص ... بملوية إلى أن دخل فصل الشتاء ... ولما منعوا من السهل وانقطعت عنهم الميرة (المؤونة) وقلت الأقوات خشعوا ونزل وفدهم فقدموا مكناسة على السلطان تائبين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والنتاج فدفعوها عن يد وهم صاغرون."

(□)، ويتضح من هذا أن الضرائب تعددت المنتوجات الفلاحية إلى تجهيز الجيوش بالأسلحة والعتاد.

وشكلت عملية تحرير الثغور المحتلة فرصة هامة للحصول على الأموال حيث مكنت المولى إسماعيل من جمع غنائم كثيرة مثل غنيمة العرائش(لج□) التي قال عنها الإفراني:" كان عدد نصارى العرائش قبل الاستيلاء عليه ثلاثة آلاف ومائتين وحيث ظفر المسلمون بهم أسروا منهم ألفين وقتلوا منهم اثني عشر ومائة ووجدوا فيها من البارود والعدة ما لا يحصى كثرة ".(□□)

لقد أضرت سياسة المولى إسماعيل بالمدن التقليدية كمراكش وفاس وتطوان، مما أدى إلى تمردها من حين لآخر. ومثلت مدينة فاس نموذجا لهذه المواجهة، بحيث ثارت

ضد المولى إسماعيل في السنة الأولى من حكمه، وأعلن علماؤها ابن محرز سلطانا على المدينة، مما عرض بعضهم أمثال جسوس وبردلة لمحن عديدة، إذ تعرضوا لاختلاس أموالهم وأموال أسرهم وابتزازها بالقوة والعنف، كما يذكر الناصري: "ولما كانت سنة عشرين ومائة وألف [1708م] تجددت المحنة وألزم الرئيس أبو محمد عبد الله الروسي فقهاء فاس أن يكتبوا على الديوان المذكور، فمن كتب نجا ومن أبى قبض عليه. ثم قبض على أولاد جسوس واستلب أموالهم وأجلس فقيههم الشيخ أبا محمد عبد السلام بن حمدون جسوس بالسوق مقيدا يتطلب الفدا... واستصفى عامة أمواله وأجرى عليه أنواع العذاب، وبيعت داره وأصوله وكتبه وجميع ما يملك هو وأولاده ونساؤه... "(برﻫ).

إن التشدد في الضرائب ضد الأعداء قصد الانتقام، وإخماد الثورات، وتوفير مطالب العبيد، واستقطاب المدن

والقبائل ظاهرة ميزت سياسة الملوك العلويين لاسيما في فترات ضعف سلطة المخزن كما فعل أحمد الريفي مع أهل تطوان، وبناصر أخ المستضيء بعبدة[ترجمة]، وعبد الله ضد أهالي مكناس[يرجمة]، وضد العمال والولاة الذين ثاروا عليه مثل باشا طنجة أحمد بن علي الريفي الذي جمع أموالا طائلة من احتكاره للتجارة مع الإنجليز في الشمال[سمجمة].

وقد دفعت ثورات المعارضين، خاصة بعد وفاة المولى إسماعيل، المولى عبد الله إلى تجديد المكوس على موازين المخزن بفاس، وإلى التشدد في محاربة أنواع الغش المختلفة في التجارة والعملة لحماية موارد بيت المال، مثلما حصل في تجارة النسيج التي ثبت أن الحجاج كانوا يشترون " الثياب ويبيعونها في طريقهم إلى طرابلس وأعمالها ويحملون الدراهم

والدنانير ويشترون به ما يتقوتون به في الطريق فظهر النحاس في طرابلس في الدنانير والدراهم العام بعد العام وصارت الثياب تتقطع، فشكى (كذا) عامة ما نزل بهم إلى التركي والي طرابلس وأعمالها، فأراد القبض على الحجاج فكلمه بعض فقهاء طرابلس وقال له الحجاج لم يصنعوا الثياب بأيديهم وإنما اشتروها ممن صنعها، والدنانير والدراهم المنحسة ليسوا هم الذين ضربوها وإنما قبضوها في أمتعتهم ... وكتب رسالة تضمنت ذلك إلى أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل ... "(شمل).

لقد زرعت السياسة المالية في عهد المولى إسماعيل الرعب في صفوف الرعايا وفي الأجانب إذ " أصبحت تأتيه الهدايا كل شهر من النصارى، ويأخذ النايبة عن كل شخص كل أسبوع "(لها)، فامتلأت بذلك خزائنه حتى أنه "

كانت له آبار تحت الأرض مملوء بالذهب والفضة وكان حين يخرج تتبعه خيوله مسرجة بالذهب وكانت له خيول تحت الأرض... ".(□□)

2. عهد سيدي محمد بت عبد الله (1171 - 1204هـ/1757-1790م):

لما تولى سيدي محمد بن عبد الله اعتمد سياسة تجمع بين الشدة واللين، وتجنب إثارة أية معارضة مبكرة من قبل المدن والقبائل عمل على إرساء الاستقرار والأمن ثانية، فوجه حملات عسكرية إلى عدة أقاليم مثل الحوز وسوس وشيشاوة ... ، وعمل على ترحيل وتنقيل عدة قبائل من أماكنها (□□).

هذه سياسة كانت تستهدف تحقيق شروط الازدهار الاقتصادي، خاصة وأن هذه القبائل كلها كانت تستوطن

المناطق الساحلية وتتحكم في الطريق الرابط بين الحواضر الكبرى كفاس ومراكش وهي مناطق معروفة بتعدد ثرواتها الفلاحية وتنوع أنشطتها مما يفسح المجال أمام المخزن لتنمية موارد بيت المال، واستخلاص "الوظائف" التي اقتصرت في البداية على الضرائب الشرعية من زكاة وأعشار، لكن مصاريف بناء القوة العسكرية حتمت على السلطان سيدي محمد بن عبد الله اللجوء إلى فرض ضرائب استثائية كالمكوس التي فرضت على الموازين، وكانت تستخلص في أبواب المدن وفي أبواب الأسواق بالبوادي والحواضر. وكانت هذه المكوس في البداية " خفيفة صغيرة، ومع الأيام كبرت وعظمت، إلى أن بلغت مبلغا عظيما في كل حاضرة ومدينة وبلغ مقدارها خمسمائة ألف مثقال وكذا في كل سنة مشهورة مبيعة لعمال المدن وقواد القبائل، ومنها كان صائر الدولة ومصاريفها... "(لح بر).

واعتمد سيدي محمد بن عبد الله لاستخلاص الضرائب الشرعية وغير الشرعية على نظام " المقاطعة " أو " القبالات " حيث يباع حق استخلاص ضريبة معينة إلى العمال والقواد والتجار المغاربة من المسلمين وأهل الذمة، كما تباع للتجار المسيحيين مقابل دفع مقدم لقيمتها، وكان " المتقبل " يستفيد من الفرق بين ما يدفعه للسلطان، وما كان يحصله من الناس.

وإذا كانت هذه السياسة قد مكنت السلطان من تعجيل قبض المال، وتوفير مداخيل منتظمة للدولة فإنها انعكست سلبا على السكان بالبوادي والمدن، إذ أن العمال (الجباة) وللرفع من أرباحهم كانوا يعمدون إلى إثقال الرعية بالضرائب. يقول الزياني: " والعمال تجبي الأموال والرعايا

تدفع بلا حساب وصار أهل المغرب كفلاحي أهل مصر يخدمون ويدفعون في كل جمعة... "(□ بر).

وشكلت مداخيل الرسوم الجمركية على التجارة الخارجية موارد هامة لبيت المال، مثلها مثل الإتاوات المفروضة على بعض الدول الأوربية كالدنمارك والسويد مقابل حماية سفنهم في السواحل المغربية، إذ كان " على طاغية الدينمرك [أن يدفع] للسلطان كل سنة خمسة وعشرين مدفعا من معادن المدفع وزن كوتها ثمانية عشر رطلا إلى أربعة وعشرين، ويدفع معها ثلاثين قمنة (من معدات السفن)، ومن اللوح الروبلي (نوع من الخشب الجيد) ألفي لوحة مختلطة، ومن الريال ستة آلاف وخمسمائة، والكل واصل إلى المحل الذي يريد السلطان، وإن أراد

الطاغية أن يدفع بدلا عن جميع ذلك خمسة وعشرين ألف ريال فله ذلك ومثل هذا انعقد مع جنس السويد... "(بر بر).

وتفاديا للضغط الضريبي على السكان، وبهدف ضخ موارد إضافية في بيت المال، نهج سيدي محمد بن عبد الله سياسة الباب المفتوح مع أوروبا، وعقد عدة معاهدات(تر بر) مع الدول الأوربية تسمح لها بشراء المنتجات الفلاحية والمعدنية من المغرب، وكان ذلك مقابل " مال يدفعونه له، وأذن لهم أن يشتروا ما يحتاجون إليه من طعام وإدام لأجل غلاء كان عندهم. فانثالوا على جميع مراسي الغرب ... وتعدى أمرهم عن شراء الطعام والإدام الأذون لهم فيه إلى شراء الدواب من البغال والبقر والأغنام والدجاج وغير ذلك ... وفي هذه الهدنة التي وقعت مع النصارى قدموا

إلى مدن المغرب من تطوان والعرائش وسلا والقصر ومدينة فاس ومكناسة الزيتون وغيرها ..." [ير بر].

وارتكزت سياسة الباب المفتوح أيضا على تخفيض الرسوم الجمركية على الصادرات والواردات، وعلى فتح الموانئ الأطلنتية وترميمها وبناء مدن جديدة مثل الصويرة سنة 1178هـ/1765م التي وبمجرد ما " أكملها أمر أهل فاس أن يعمروها بلا دلالة من عام إلى عام: ثلاثمائة رجل من أهل الصنائع على الأصناف حتى أضرت بهم الغاية "[سم بر]، ثم " جلب إليها [الصويرة] النصارى بقصد التجارة بها وأسقط عنهم وظيف الأعشار ترغيبا لهم فيها فأهرعوا إليها من كل أوب، وانحدروا إلى مرساها من كل صوب، فعمرت في الحين واستمر الترخيص لهم مدة من السنين ثم رد أمرها إلى ما عليه حال المراسي من أداء الصاكة وغيرها من

اللوازم"[شم بر]. وقد بنيت المدينة لعاملين أساسيين: عامل اقتصادي يتمثل في رغبة السلطان في وضع حد لحركة التهريب التي كانت تتم عن طريق ميناء أكادير لذلك بادر إلى حمل تجار أكادير على الانتقال إلى الصويرة بمجرد تخطيطها، أما العامل الثاني فهو رغبته في جعل الميناء صالحا لرسو السفن طيلة السنة، ولذلك شمل الترحيل عددا كبيرا من أهل سوس أمازيغ وعربا ويهودا وعبيد البخاري[لم بر]. وفي سنة 1186هـ/1772م أمر السلطان ببناء مدينة فضالة " وأمر النصارى أن يبنوا فيها الديار ... وتكاثر البناء بمرسى فضالة وخط فيها الجامع وكان العدول والأمناء من أهل سلا والرباط يحضرون بالمرسى مع

الأمناء من اليهود والنصارى والمسلمين وهم يجتهدون في اشتراء الزرع، فما رأى ذلك يفزع... "(□ بر).

لقد كانت لهذه السياسة نتائج إيجابية إذ ساهمت في ارتفاع عدد السفن التي أصبحت ترسو بالموانئ المغربية، وارتفعت معها مداخيل بيت المال. ففي مابين 1764و1777م / 1177 و1190هـ انتقل عدد السفن الواصلة إلى مرسيليا من الموانئ المغربية من أربعة إلى مائة وثلاثين سفينة(□ بر)، ومن جهة أخرى، مكنت الحملات التي نظمها السلطان ضد بعض الجهات والمعارضين من جمع كميات معتبرة من المال. فحينما كان واليا لأبيه على مراكش سنة1165هـ/1752م، هاجم الطالب صالح المجاطي رئيس أكادير، وابتز من عنده " نحو الخمسمائة

قنطار أو يزيد "(لح تر)، ولما أصبح سلطانا، عزل سنة 1778م/1192هـ القسطالي بتادلة و " دخل داره فوجد عنده ثلاثين قنطارا من الفضة." (□ تر)، وفي سنة 1197هـ/ 1784م مكنته رحلاته لتافيلالت من جمع "ما يزيد عن مائة قنطار من المال، ومن أهل الفرضة ما يقرب من الثلاثين قنطارا ومن أهل تابوعصامت وما يليها ستة عشر قنطارا، ومن أهل وادي المليح وما يليه ستة عشر قنطارا، ومن أهل السفية وما يليهم ستة عشر قنطارا، ومن أولاد يوسف وما يليها ستة عشر قنطارا "(بر تر). وقد تكون هذه الحملات هي التي جعلت بعضا يتخوف، ويعرض ماله على السلطان خوفا عليه من الاغتصاب كما فعل شيخ الزاوية الشرادية

بمراكش أبو العباس الشرادي، والذي قال للسلطان " المال عندي في المطامير فإن احتجت إليه فها هو موجود ... "(تر تر).

وشكلت عملية الجهاد البحري وعائدات افتداء الأسرى المسيحيين بدورها موردا مهما لبيت المال، ففي عام 1174هـ/1760م أسر سيدي محمد بن عبد الله " ما لا يحصى من أسرى النصارى " وجمع غنائم وأموالا كثيرة(تر تر) عن الهدايا التي كانت تأتيه " من ملوك النصارى لأنه دوخهم في البحر، وغنم منهم غنائم كثيرة، وأسر من النصارى ما لا يحصى من الأسارى وتكاثرت سفنه في البحر من أهل سلا ورباط الفتح وأقبلت عليه الأيام ووقف له السعد في البر والبحر وكان الرياس من أهل سلا والرباط يقدمون عليه بمراكش بالنصارى الأسارى في كل سنة ... وفي عام 1181هـ/1767 -1768م أطلق

السلطان مائة وثمانين من النصار قبض فداء كل واحد منهم سبعمائة مثقال... "(سمـ تر).

واحتكر المخزن في عهد سيدي محمد بن عبد الله المتاجرة في بعض المواد النادرة، والتي لا يسمح السلطان بالإتجار فيها إلا لمن يوكله ذلك ، كالتبغ، "والقشينة" ،التي تستعمل في دبغ الجلود، مما ساهم في ضخ موارد إضافية لبيت المال، كما فعل في المحرم من عام 1176هـ/1762م حيث " بعث السلطان إلى فاس وغيرها من المدن أن لا يبيع أحد القشينة إلا اليهودي بثمانية أوقية ويشتريها من أهلها بأربع أوقية ومن خالف ذلك يعاقب ... وجاء ... أمر السلطان بأن اليهود يعطون على كل شاة تذبح خمسة أواق وعلى كل دجاجة موزونة وعلى كل بقرة ثلاثين أوقية ... وفي هذه السنة ترتب على فاس من الأمكاس نحو ألف مثقال عن كل شهر، ووظف ذلك على الموازين

والأسواق وأبواب المدينة وكان قبل ذلك على ... الجلد والكبريت ثم صار عاما في كل شيء ... "[شم تر]. لكن يبدو أن ما ادخره السلطان في فترات الرخاء كان مضطرا إلى صرفه في أوقات المجاعات كما حدث في مجاعة 1205هـ/1791م حيث " أسقط عن جميع القبائل المغارم والوظائف ... وكان في سنين المجاعة يعطي الأموال للتجار ليجلبوا الأقوات من بلاد الروم لبلاد الإسلام ويأمرهم ببيعه بثمنه الذي اشتروا به رفقا بالمسلمين"[لم تر]، كما كان مرغما لإرسال نفقات وهدايا للمشرق العربي خدمة للدين الإسلامي وترسيخا للروابط المتينة التي تربطه بشرفاء وعلماء ورعايا هذه الأقطار، ولذلك بعث في سنة 1197هـ/1783م " بالمال لأشراف مكة ولعلماء مصر وللفقيه العلامة الشيخ مرتضي ما قدره ستمائة (600) دينار

ذهب مع مكانة (ساعة) من قيمة خمسمائة (500) دينار، وبعث مثل هذا لشيخ الدريدر شيخ المالكية لمصر. وفي نفس السنة وجه السلطان الحاج المكي بركاش الرباطي لتطوان ليحمل في البحر مائتي قنطار صدفة ليفرقها على الشام وبيت المقدس ومكة والمدينة." (□ تر)

خلاصة:

ومجمل القول، رغم بعض فترات الرخاء. فإن السياسة الجبائية كانت متشددة على السكان أحيانا، ولاسيما في فترة المولى إسماعيل. فعلاوة على الضرائب الشرعية التي كان يدفعها الرعايا والأجانب في كل الأوقات وفي أماكن متعددة، تعرض السكان المحليون والأجانب للتعسف ولدفع ضرائب غير شرعية أثرت سلبا على مستواهم المعيشي وعلى استقرارهم وإخلاصهم للنظام الحاكم، مما أدى إلى اندلاع انتفاضات وثورات وتمردات في

الكثير من المدن والبوادي المغربية، وكان الوضع أكثر حدة في عهد المولى إسماعيل.

لقد كانت سياسة التدبير المالي في هذه المرحلة سببا في ظهور عدة أزمات وصراعات داخل النظام الحاكم وأدت إلى اضطرابات كادت أن تنهي الدولة العلوية في هذه المرحلة في انسجام تام مع نظرية ابن خلدون الذي أكد أنه حينما كان الجباة يضيفون إلى الضرائب الشرعية المغارم والمكوس المختلفة والهبات والهدايا لتغطية نفقات الدولة التي تتزايد مع اتساع مجالها وازدياد أعداد سكانها، وكثرة نفقات السلاطين والجند والموظفين، فإن ذلك كان يؤذن " باختلال العمران، ويعود على الدولة؛ ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضمحل"(□ تر).

إن التشدد في الضرائب ضد الأعداء قصد الانتقام، وإخماد الثورات، وتوفير مطالب العبيد، واستقطاب المدن

والقبائل ظاهرة ميزت سياسة الملوك العلويين لاسيما في فترات ضعف سلطة المخزن. وقد زرعت هذه السياسة الرعب في صفوف المواطنين والأجانب، ولذاك يصح القول إن السياسة المالية في هده المرحلة من تاريخ المغرب كانت أحد عوامل تعطيل التنمية والحفاظ على التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط وبالتالي قطع الطريق مبكرا أمام الحركة الإمبريالية.

الهوامش

(□) - الضعيف بن محمد عبد السلام الرباطي (ت.1223هـ/1818م): تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة. تحقيق: أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986، ص: 8.

(2) - البفرني محمد الصغير (ت.1155هـ/1742م): نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الطالب، الرباط، د.ت.، صص:301.302. وذكر الضعيف أن المولى الرشيد أدخل الرجال حيلة على اليهودي، وقتله وأخرج من داره أموالا كثيرة وذخائر نفيسة. م.س، ص.44.

(3). يخبرنا البكري بأن السكان في عدد من البوادي والمدن، حلال فترة المرابطين والموحدين، كانوا يبنون أبواب دورهم قصيرة خوفا من الجباة. البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت.1094/487): المسالك والممالك، جزء: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، قسم : وصف إفريقيا الشمالية. تصحيح: دوسلان، مكتبة أميريكا والشرق، باريس 1965، وقسم جغرافية الأندلس وأوروبا. تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت 1983، ص:29.

(4) - الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي (ت.1833/1249): البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1992 ،القسم الأول، ص.148.

(5) - اليوسي الحسن بن مسعود بن محمد اليدراسني (ت.1691/1102): من رسالته الثانية إلى المولى إسماعيل. نقلا عن: الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت.1315هـ/ 1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: تحقيق وتعليق الأساتذة: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1997/1418 ، ج 6، ص.83. وأيضا: فاطمة خليل قبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981/1401، ج 1، صص:237 -244.

(6) - وندوس جون (ق. 12هـ/18م): رحلة إلى مكناس. ترجمة زهران إخوان. تقديم وتعليق: عبد اللطيف الشاذلي، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، د.ت.، ص.ص:127 -128.

(7) - (ابن) زيدان عبد الرحمان العلوي (ت. 1365هـ/1946م): إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. المطبعة الوطنية، الرباط 1929 -1933، ج 4، ص: 412.

(8) - الضعيف، م.س، ص: 111.

(9) - الناصري، الاستقصا...، م.س ، ج 7 ، ص.ص:66 -67.

(10) - إدريس أبو إدريس: رفع الالتباس عن وضع الأسرى المسيحيين بمدينة مكناس، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية 1988، ص: 262.

(11) - روضة التعريف بمفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، المطبعة الملكية الرباط، ط 1 ، 1962 ، ص: 59.

(12) - م.ن، ج 7، ص:94.

(13) - ابن زيدان ، إتحاف ...، م.س، ج 4، ص.ص:335 -336.

(14) - م.ن، ج 4،ص:424.

(15) - م.ن، ج 4. ص: 425.

(16) - القادري محمد بن الطيب (ت. 1187هـ/ 1773م): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. (نشر). تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج 1، دار المغرب للترجمة والتأليف والنشر، الرباط 1977، ج 2 و 4. منشورات الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، الرباط 1974 و 1982 و 1986، ج 4، ص: 106.

(17) - الضعيف، م.س، ص: 144.

(18) - م.ن ، ن.ص.

(19) - الزياني ، البستان...، م.س ، ص:417.

(20) - م.ن ، ص: 387.

(21) - م.ن، ص: 148.

(22) - الناصري ، الاستقصا... ، م.س، ج 8 ، ص: 33.

(23) - نصت المادة الخامسة من المعاهدة المغربية الفرنسية لسنة 1767م/1180هـ على ما يلي: " لرعيتي الدولتين الدخول لأي مرسى شاءوا من مراسي سيدنا... أو مراسي بلاد الفرنصيص والخروج منه سالمين... وأن يبيعوا ويشتروا ما شاءوا... ولتجار الفرنصيص التصرف في البيع والشراء في جميع إيالة سيدنا ... كغيرهم ... ".أنظر: ابن زيدان، إتحاف، م.س، ج 3، ص. 269 - 270 - وحول العلاقات التجارية لسيدي محمد بن عبد الله مع أوروبا، أنظر: إبراهيم بوطالب، سيدي محمد بن عبد الله: علاقاته مع أوروبا، مذكرات من التراث المغربي، المجلد4، 1985،ص. 117 وما بعدها.

(24) - القادري ، نشر المثاني...، م.س، ج 4 ، ص: 171 و 182.

(25) - الضعيف، م.س، ص: 172.

(26) - الناصري ، الاستقصا، م.س، ج 8 ، ص:20.

(27) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء 1994، ج 3 ، ص: 523.

(28) - الضعيف، م.س، ص: 173.

(29) - ميج جاك: العلاقات البحرية بين المغرب ومرسيليا ما بين 1682 و 1863 ، مجلة " المغرب -أوروبا " Maroc-Europe (بتصرف) ، عدد 2 ، ص: 59.

(30) - الضعيف، م.س، ص:155.

(31) - م.ن ، ص: 179.

(32) - م.ن ، ص: 185.

(33) - م.ن، ص: 156.

(34) - م.ن ، ص: 169.

(35) - م.ن، ص. ص: 311 -320.

(36) - الضعيف، م.س، ص: 313.

(37) - الزياني، البستان ، م.س. ص: 414.

(38) - الضعيف، م.س، ص: 186.

(39) ـ (ابن) خلدون عبد الرحمان (ت. 1406/808): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة منقحة، بيروت 2004/1424.، ص: 293.

المصادر والمراجع

_ إبراهيم بوطالب، سيدي محمد بن عبد الله: علاقاته مع أوروبا، مذكرات من التراث المغربي، المجلد4، 1985.

_ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء 1994، ج 3.

_ إدريس أبو إدريس: رفع الالتباس عن وضع الأسرى المسيحيين بمدينة مكناس، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية 1988.

_ البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت.1094/487): المسالك والممالك، جزء: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، قسم : وصف إفريقيا الشمالية. تصحيح: دوسلان، مكتبة أميريكا والشرق، باريس 1965، وقسم جغرافية الأندلس وأوروبا. تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت 1983.

_ (ابن) خلدون عبد الرحمان (ت. 1406/808): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة منقحة، بيروت 2004/1424.

_(ابن) زيدان عبد الرحمان العلوي (ت. 1365هـ/1946م): إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. المطبعة الوطنية، الرباط 1929 -1933، ج 4.

_الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي (ت.1833/1249): البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1992 ،القسم الأول.

_الضعيف بن محمد عبد السلام الرباطي (ت.1223هـ/1818م): تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة

السعيدة. تحقيق: أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986.

_ القادري محمد بن الطيب (ت. 1187هـ/ 1773م): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. (نشر). تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج 1، دار المغرب للترجمة والتأليف والنشر، الرباط 1977، ج 2 و 4. منشورات الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، الرباط 1974 و 1982 و 1986، ج 4.

_ ميج جاك: العلاقات البحرية بين المغرب ومرسيليا ما بين 1682 و 1863 ، مجلة " المغرب -أوروبا " Maroc-Europe (بتصرف) ، عدد 2 .

_الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت.1315هـ/ 1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: تحقيق

وتعليق الأساتذة: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1997/1418 ، ج 6، ص.83. وأيضا: فاطمة خليل قبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981/1401، ج 1.

_وندوس جون (ق. 12هـ/18م): رحلة إلى مكناس. ترجمة زهران إخوان. تقديم وتعليق: عبد اللطيف الشاذلي، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، د.ت.

_ البفرني محمد الصغير (أو الإفراني) (ت.1155هـ/1742م):

ـ روضة التعريف بمفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، المطبعة الملكية الرباط، ط 1.

ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الطالب، الرباط، د.ت.